

منبر المحراب

السنة الخامسة عشرة
العدد ٨٤٤ - ٥/شعبان/١٤٣٠ هـ
الموافق ٢٨/نور/٢٠٠٩ م

بركات الإمام المهدي في غيبته

«إن آخر من يموت الإمام لثلا يحتج أحد على الله عز وجل أنه تركه بغير حجة لله عليه»^(١).

البعد العبادي والعملي: ويتجلى في اعتبار انتظار الفرج عبادة بل من أفضل العبادة كما ورد في العديد من الروايات:

يمثل الارتباط بالإمام الحجة عنوان الأمل في حياة المسلمين، بصفته خاتم الوصيين التي ترتبط قضيته ارتباطاً وثيقاً بمستقبل الإنسان وحاضره، ولا بد للأمة جمعاء من العمل المعطاء والمخلص والمخطط لتحقيق العبادة في انتظار صاحب الزمان.

١- مفهوم الانتظار وآثاره:

لانتظار الفرج مفهومان: الأول يركز على مبدأ الاستسلام أمام الفساد والظلم والانحراف، واليأس من إصلاح العالم ونشر العدل قبل ظهوره، بل إن الفساد والظلم من أسباب الظهور.

والثاني: إيجابي يستند على أن الانتظار باعث على التحرك لا الركود وعامل وعي ويقظة، ويطلق عادة على حالة من يشعر بعدم الإرتياح من الوضع الموجود، ويسعى لإيجاد الوضع الأفضل والأصلح، وأنه يخلق روح المسؤولية، و باعث للأمل، ومصداق للعبادة، قال رسول الله ﷺ: «أفضل العبادة انتظار الفرج»^(٢)، بل لقد تحدّث الروايات عن أن الانتظار في توائم مع الجهاد.

سأل شخص الإمام الصادق ﷺ: ماذا تقول فيمن مات وهو على ولاية الأئمة بانتظار ظهور حكومة الحق؟

والدولة، ومرجعية دينية، وولاية أمر عامة للمسلمين كافة.

٢- الاعتقاد بالمهدوية من

ضروريات الإسلام: لقد تواترت الأخبار والروايات الصادرة عن رسول الله ﷺ والأئمة عليهم السلام التي تبشّر بالمهدي، وبظهوره في آخر الزمان لينشر العدل، وينصر المستضعفين في العالم، ويعتقد المسلمون بأن قضية المهدوية والإمام المهدي ضرورة من ضروريات الإسلام على مستوى كون إمامته امتداداً لنبوّة رسول الله ﷺ وقيادة البشرية، وعالمية دولته، وكونه الإمام المفروض الطاعة.

٤- لا تخلو الأرض من حجة: إن

ما يعزّز عقيدة المسلمين بالمهدي مجموعة الأخبار التي أكّدت أن الأرض لا تخلو من حجة لله على الأرض.

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «والله ما ترك الله أرضاً منذ قبض آدم عليه السلام إلا وفيها إمام يهتدى به إلى الله وهو حجته على عباده، ولا تبقى الأرض بغير إمام حجة لله على عباده»^(١)، وعنه أيضاً قال: «لو أن الإمام رفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها، كما يموج البحر بأهله»^(٢).

وقد حدّدت الروايات المقصود بالحجة وأنه الإمام المهدي، فعن الإمام الكاظم عليه السلام قال: «إن الحجة لا تقوم لله على خلقه إلا بإمام حتى يعرف» وورد روايتان بنفس المضمون عن الرضا والصادق عليه السلام، وعن الصادق عليه السلام قال: «لو كان الناس رجلين لكان أحدهما الإمام»^(٣) وقال:

محاور الموضوع الرئيسية:

أولاً: البعد العقائدي لقضية الإمام المهدي
ثانياً: البعد العبادي والعملي
ثالثاً: البعد المرتبط بفلسفة الغيبة نفسها.

الهدف: التعرف إلى بركات

الإمام المهدي عليه السلام في غيبته وواجب المسلمين فيها.

تصدير الموضوع: جاء في دعاء

العهد المتضمن تجديد العهد بالإمام المهدي عليه السلام فجر كل يوم: «اللهم بلغ مولاي صاحب الزمان صلوات الله عليه عن جميع المؤمنين والمؤمنات، في مشارق الأرض ومغاربها.... اللهم إني أجدد له في هذا اليوم وفي كل يوم عهداً وعقداً وبيعة في رقبتي»^(١)...

(١) مصباح الزائر، ص ٢٣٤.

مدخل: يمكن معرفة بركات وجود

صاحب الزمان في غيبته من خلال الأبعاد الآتية:

أولاً: البعد العقائدي لقضية الإمام المهدي عليه السلام: يمكن إيضاح هذا البعد من خلال المبادئ الآتية:

١- عالمية الإيمان بالمنقذ: لقد

اتفقت كلمة الأديان والأمم والمذاهب على مجيء مصلح سماوي إلهي ملكوتي، لإصلاح ما فسد من العالم وإزاحة ما ساد من الظلم والفساد، ولنشر العدل والمحبة والسلام.

٢- الإمامة امتداد للنبوّة: الإمامة

رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا، ووظائفها مستمدة من النبوّة، لناحية قيادة المجتمع وإدارة شؤون الأمة



(١) الكافي، ج ١، ص ١٧٩.

(٢) م، ٥٠.

(٣)

(٤) الكافي، ج ١، ص ١٨٠.

(٥) كمال الدين وتمام النعمة، ص ٢٨٨.

إليه يصعد الكلم الطيب

فقال عليه السلام : هو بمنزلة من كان مع القائم في فسطاطه - ثم سكت هنيئة - ثم قال: هو كمن كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله ^(١).

٢- معايير وأسس الانتظار:

- الانتظار يعني الاستعداد التام والشامل للأفراد والمجتمعات وعلى مختلف المستويات البنيوية والسياسية والعسكرية والعلمية، ولهذا ينبغي الالتفات إلى أمور:

- بناء العناصر الإنسانية المستعدة لتحمل المسؤولية تجاه الإمام ودولته.
- عدم الذوبان في المحيط الفاسد ومواجهة كل أشكال الظلم.
- الاهتمام الشامل بالبنية الجهادية والعسكرية على مستوى الأفراد والتشكيلات والمعدات.

٣- واجبنا في عصر الغيبة:

- الانتظار الحقيقي للفرج.
- الثبات على الدين مهما قست الظروف وانتشر الفساد.
- الثبات على الإمامة والولاية وتجديد البيعة.
- زيارته والدعاء الدائم له صلى الله عليه وآله.
- التمهيد بمختلف الوسائل الممكنة لظهوره صلى الله عليه وآله.

- طاعته من خلال نوابه العامين (الولي الفقيه).

وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام : «للقائم منا غيبة أمدها طويل، كأني بالشيعية يجولون جولان النعم في غيبته يطلبون المرعى فلا يجدونه، ألا فمن ثبت منهم على دينه ولم يقس قلبه لطول غيبة إمامه فهو معي في درجتي يوم القيامة» ^(٢).

ثالثاً: البعد المرتبط بفلسفة الغيبة نفسها:

الغيبة الصغرى هي تمهيد طبيعي ومنطقي للغيبة الكبرى التي تتحقق

فيها الغيبة التامة التي تفوت الفرصة على الظالمين من التعرف عليه وكشف سرّه. وقد سلك الإمام الحسن العسكري عليه السلام في اخفائه وتعريف شيعته به وإقامة الحجة عليهم بوجوده سلوكاً دقيقاً جمع فيه بين وجوب حفظه من أعدائه ووجوب إتمام الحجة عليهم بوجوده.

حتى أن عمّ الإمام المهدي عليه السلام جعفر بن علي الهادي لم يعلم بولادته ولا بوجوده، وعليه فلا بدّ من غيبة صغرى كي يُعرف خلالها ميلاده عليه السلام ووجوده ويعرض على خواص أصحاب الإمام العسكري عليه السلام كما فعل هو حيث عرضه على خواص أصحابه وأعلن لهم عن ولادته، ثم عَقَّ عنه.

أسرار الغيبة الكبرى وأسبابها:

لقد أشارت الأحاديث الشريفة المروية عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام لأسباب غيبة الإمام المهدي عليه السلام الطويلة، وبإلقاء نظرة شاملة وفاحصة فيما جاء من النصوص حول الغيبة يتضح أن هذه الروايات والأحاديث يمكن تقسيمها إلى عدة طوائف:

١- طائفة تذكر أن علّة الغيبة هي أن الله سبحانه أجرى للإمام عليه السلام سنن الأنبياء في غيبتهم روى سدير عن أبيه عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «للقائم منا غيبة يطول أمدها، قلت له: يا ابن رسول الله ولم ذاك؟ قال عليه السلام : لأنّ الله عزّ وجلّ أبى إلا أن يجعل فيه سنن الأنبياء عليهم السلام في غيبتهم، وأنه لا بدّ له يا سدير من استيفاء مدة غيبتهم، قال الله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ أي سنن من كان قبلكم» ^(٣).

٢- وطائفة أخرى تعلّل غيبته عليه السلام بخوفه من القتل روى زرارة عن الإمام

الباقر عليه السلام قال: إنّ للقائم غيبة قبل ظهوره، قلت: ولم؟ قال: يخاف. وأوماً بيده إلى بطنه. قال زرارة يعني: القتل ^(٤) وفي حديث للإمام الحسن العسكري عليه السلام بعد استعراضه لمحاولة فرعون قتل موسى عليه السلام وحفظ الله تبارك وتعالى لموسى عليه السلام تشبيه دقيق لظروف غيبة النبي الكريم بغيبة الوصي المنتظر عليه السلام قال الإمام العسكري عليه السلام : «كذلك بنو أمية وبنو العباس لما وقفوا على أن زوال ملك الأمراء والجبابة منهم على يد القائم منا، ناصبونا العداوة ووضعوا سيوفهم في قتل آل الرسول صلى الله عليه وآله وإبادة نفسه طمعاً منهم في الوصول إلى القائم ويأبى الله عزّ وجلّ أن يكشف أمره لواحد من الظلمة إلا أن يتمّ نوره ولو كره المشركون» ^(٥).

٣- وطائفة ثالثة تذكر أن علّة هي أن لا تكون في عنقه بيعة لأي ظالم ولا لطاغية زمانه حين يظهر بالسيف، روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال - في جواب من سألته عن علّة الغيبة: «لئلا يكون في عنقه بيعة إذا قام بالسيف» ^(٦).

ويقول عليه السلام في رسالته الأولى للشيخ المفيد:

«نحن وإن كنا نأوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين حسب الذي أَرانا الله تعالى لنا من الصلاح ولشيعتنا المؤمنين في ذلك مادامت دولة الدنيا للفاسقين» ^(٧).

٤- وطائفة رابعة لم تذكر سبباً صريحاً بل تنصّ على أن الغيبة أمر من أمر الله سبحانه وسرّ من أسرارها لا يمكن كشفه إلا حين ظهور الإمام عليه السلام.

(٤) م.ن.

(٥) م.ن، ج ٢، ص ٣٥٥.

(٦) م.ن، ص ٤٨٠.

(٧) الاحتجاج، ج ٢، ص ٢٢٢.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة، ص ٤٨١.

(١) المحاسن، ج ١، ص ١٧٢.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة، ص ٣٠٢.